محمد بن قاسم ناصر بوحجام وإسهاماته الأدبية.

الأستاذ محرز عبد السلام

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات – جامعة غرداية –

Wissal72@gmail.com

الملخص:

يعدّ محمد بن قاسم ناصر بوحجام أديبا وناقدا، أسهم بفكره الرصين وبعقله الحصيف وبقريحته المبدعة في إثراء الساحة العلمية والأدبية والنقدية بمؤلفاته العديدة، وتتميّز هذه الإسهامات المتنوعة بالطرح العلمي الجاد، وتناول مختلف القضايا العلمية والأدبية والتاريخية في مؤلفاته بفكر الباحث الموضوعي، والمؤلف الرسالي، ومن مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر؛ (السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925–1962) - (دراسات عن الأدب الجزائري الحديث) - (الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام) - (حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلّي) وغيرها.

وسنتناول في هذه الورقة البحثية نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للمؤلف، وعرضا عاما لمؤلفاته، ووصفا لبعضها مع إبراز rما تتميّز به من خصائص، سالكين أسلوب IMRADالعالمي في البحوث العلمية، ومتبعين المنهج التاريخي في عرض السيرة الذاتية للمؤلف، وفي عرض بعض مؤلفاته، والمنهج الوصفي التحليلي لبعض منها مع إبراز خصائصها.

وينطلق البحث أساسا من إشكالية مفادها، فيم تمثّلت إسهامات محمد قاسم بوحجام؟ وما خصائصها؟ و تتفرع هذه الإشكالية إلى أسئلة تعدّ رافدا أساسيا للبحث وتتمثّل في ما يأتي:

1 – من هو محمد قاسم ناصر بوحجام؟

2 – وما هي مؤلفاته؟ و ما الموضوعات التي تناولها؟ وما خصائصها؟

الكلمات المفاتيح:إسهامات – أدب – نقد – محمد قاسم بوحجام.

Abstract:

Mohammed bin Kacem Nasser Bouhadjam is a major litterateur and critic. With his sober thought, judicious mind, and vivid creativity, he contributed to enriching the scientific, literary and critical scene with his numerous writings. These various contributions are characterized by a serious scientific presentation. He has dealt with various scientific, literary and historical issues in his writings with the thought of the objective researcher.

Among his works are;

- "Satire in Modern Algerian Literature 1925-1962"
- "Studies on Modern Algerian Literature"
- "The Algerian Revolution, Literature and Figures in the Works of Dr. Bouhajam"
- "The Truth of Education in the Thought of Sheikh Abd al-RahmanBakli"

In this research paper, we will deal with a brief summary of the author's biography, a general presentation of

his works, describing some of them and highlighting their characteristics by following the international IMRAD method, and using the historical method in presenting the author's biography, chronological order in presenting his works and the descriptive and analytical method for some of them.

The research stems mainly from Mohammed bin Kacem Nasser Bouhadjam's contributions? Their characteristics?And, their impact on the literary and critical scene? This issue is subdivided into questions that are an essential tributary to the research:

1 - Who is Mohammed bin Kacem Nasser Bouhadjam?

2 - What are his works? What are they characterized by?

Keywords: Contributions, Literature, Criticism, Mohammed bin Kacem Nasser Bouhadjam

1 – السيرة الذاتية للمؤلف:

هو محمد بن قاسم ناصر بوحجام من مواليدلاصفر 1370هـ/03 نوفمبر 1951م، القرارة، ولاية غرداية، الجزائر.

زاول تعلّمه الابتدائي في مدرسة الحياة (القرارة) وفيها استظهر القرآن الكريم يوم 21 أوت(أغسطس) 1966م، ثمّ التحق بمعهد الحياة الثّانوي (القرارة) في أكتوبر 1966م، تخرّج فيه سنة 1972م، انضمّ إلى معهد اللّغة والأدب العربي، جامعة الجزائر في سبتمبر 1974م، تخرّج فيه سنة 1977م، متحصّلاعلى شهادة اللّيسانس في اللّغة والأدب العربي، حصل على دبلوم الدّراسات الإسلاميّة من معهد الدّراسات الإسلامية بالقاهرة، أكتوبر 1980م.

حصل على شهادةالماجستير في الأدب العربي الحديث من معهد اللّغة والأدب العربي، جامعة الجزائر في 22 جوان 1987م. وعلى الدّكتوراه في التّخصّص نفسه ومن الجامعة ذاتها في 26 ماي 1994م.درّس بجامعة باتنة إلى أن أحيل على التقاعد سنة 2015م.

مارس عدّة مهام ووظائف تعليمية وعلمية وتربوية واجتماعية، وشارك في عدة ملتقيات وطنية ودولية.

2 –إسهامات محمد قاسم بوحجام:

أسهم محمد بوحجام-في المجال العلمي والأدبي والثقافي-بما يزيد عن سبعين مؤلّفًا، وأربعمائة مقالة ودراسة في الجرائد والدّوريات العربيّة، في الجزائر وخارجها، وله قصص الأطفال وعدّة أبحاث منشورة.

أ –وصف عام لبعض مؤلّفاته:

أ – 1 – (منهج الشيخ بيوض في الإصلاح والدعوة): يضمّ المؤلَّف معنى الإصلاح ومعنى الدعوة، وهذا تحديدا لهذه المصطلحات، وتبيانا لخصائص الداعية وواجباته، ورؤية الشيخ بيوض للإصلاح والدعوة، وعوامل تكوّن الشيخ وخصائصه ومميزاته، ومنطلقاته وأولوياته في عمله، وعرض هياكل الدعوة والإصلاح والمسجد في منهج الشيخ بيوض، وطبيعة دروس الشيخ ومنهجه، والتربية والتعليم والشباب في منهجه.

لقد بيّن المؤلِّف في مؤلَّفه مكانة الشيخ العلمية والمسجد الذي عدّه جامعة مفتوحة للتربية والتكوين، والوسائل التي اعتمدها الشيخ في الإصلاح والدعوة، وإعداد الشباب للمستقبل لمواجهة كلّ التحدّيات التي تفرض نفسها في الساحة الفكرية والعلمية والثقافية والاجتماعية.

أ – 2 – (حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلي):

المؤَلَّف عبارة عن تقارير أدبية في حقل التربية والتعليم، قدّم الكاتب لمؤلَّفه حول التربية والتعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن، الذي جنّد نفسه، وعبّأ طاقته لتسيير عملية التعليم، مبيّنا البعد التربوي والتعليم في التقارير التي كان يدوّنها الشيخ تقويما للمسار الدراسي وتقييما للجهود التربوية المبذولة في هذا المجال.

وكما قدّم الكاتب تعريفا عن حياة الشيخ التعلمية والعلمية والتعليمية، حيث كان فقيها وأديبا ومؤرّخا ومصلحا اجتماعيا، خلّف مؤلفات فقهية وأدبية متنوعة بما فيها جمهرة رسائله وجمهرة خطبه وديوان شعر.

وأشار الكاتب إلى قيمة العلم وضرورة التعليم وهو المحور الأساس الذي دارت حوله تقارير الشيخ التعليمية.

أ – 3 – (دراسات عن الأدب الجزائري الحديث): من الدراسات التي يحويها المؤلَّف القضية الفلسطينية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والأدب الساخر حيث تناول المؤلِّف السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والسخرية في أدب الشيخ إبراهيم أبي اليقظان،

وكما تحّدث عن المضمون الإسلامي في الشعر الجزائري الحديث، وعن تجربة مفدي زكرياء الشعرية.

أ – 4 –(**بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار**): قدّم المؤلّف لمؤلَّفه حول العالم النفسي للإنسان، ومدى تكوينه وإعداده لأداء رسالته في الوجود، والقواعد الأساسية أو الضرورية لبناء الفرد، وكيفية التعامل معه، وتهيئته ليتبوّأ مقعد الخلافة في الأرض. انطلق المؤلِّف من أركان أساسية في بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار وهذه الأركان تتمثّل في الإسلام قاعدة البناء ومرجعيّته، تكوين الضمير الديني، الأخلاق أساس البناء، والإعداد القويّ والسليم، والقدوة الحسنة والجيّدة، والهدف من الإعداد والممارسة، وتحمّل المسؤولية واجب الأقوياء، والاعتناء بالشباب. وقد ألحق المؤلف هذه الموضوعات بخطاب ألقاه الشيخ في عرس الحكيم يوسف بن سعيد شريفي، ورسالة وجّهها إلى جماعة باتنة وشبابها.

أ – 5 –(**السخرية في الأدب الجزائري الحديث: 1925–1962**): تطرّق المؤلّف في هذه الدراسة إلى السخرية بمدلوليها اللغوي والفني، ووظيفة السخرية في الأدب والسخرية في الأدب العربي، وتاريخية

السخرية في الأدب الجزائري قبل سنة 1925م، وعوامل انتشارها في الأدب الجزائري الحديث، وتناول في ثنايا هذه الدراسة قضايا إسلامية من حيث الجمود الفكري، وانحراف رجال الدين والانحراف السلوكي والاجتماعي، وكما تطرق لقضايا اجتماعية والصراع الذي كان محتدما بين الطرقيين والمصلحين، ونقد الأوضاع الاجتماعية، وقضايا سياسية كفضح سياسة الاستعمار في الجزائر، وأذناب الاستعمار، ثمّ خصّص الفصل الرابع والخامس والسادس من الدراسة لأساليب السخرية ودلالاتها التعبيرية، وخصائصها الفنية كاللغة والصورة والرمز، والخصائص العامة للسخرية كالواقعية المصبوغة بالرومانسية، والتأثر بالتراث والسخرية البذيئة أو الإسفاف في الكتابة والتفكه.

أ – 6 –(الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام في أربعة أجزاء، طباعة وزارة الثقافة): نجد في هذه الأجزاء الأربعة موضوعات دينية واجتماعية وأخلاقية وتربوية أدبية وتاريخية، ومن هذه الموضوعات نذكر: أحاديث حول الشباب، دور الأب في استقرار الأسرة، رسالة الطالب، نظرات في التربية والبناء الحضاري، المزابيون والبناء

الحضاري، البعد الروحي في تنظيم حلقة العزّابة، البعد الحضاري للوقف، الصورة والموسيقى في الشعر العماني الحديث، التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، أحمد بن ماجد المعلّم ورائد المرشدات البحرية والفلكية، الشعر والهوية القومية، أدب الرّحلات.

ب – قراءة في بعض موضوعات مؤلفات الكاتب

قضّى المؤلّف محمد بوحجام عمره في خدمة اللسان العربي الفصيح، وخدمة رسالة الأدب العربي تأليفا ودراسة ونقدا، فضلا عن اهتمامه بالإبداع الفني والأدبي، والبحث في القضايا الفكرية والعلمية والأدبية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية، والتزامه بالقضايا العربية الإسلامية والوطنية، وفي هذا العنصر سنقف على بعض القضايا من خلال بعض مؤلفاته التي وصفناها آنفا.

ب – 1 – قيمة العلم والتربية والتعليم:

شغلت قضية التربية والتعليم اهتمام الكاتب، فتناولها من منطلق منهج الإمام الشيخ إبراهيم بيوض الذي يرى أنّ التربة والتعليم الوسيلة الناجعة للقضاء على عمى الجهل، واجتثاث جذوره ويبّين الكاتب استراتيجية الشيخ بقوله:"فقد وصل إلى قناعة بحقيقة: هي أنّ سبب المشاكل التي يعانيها

في عمله، وأنّ مصدر النّفور من النهضة والإصلاح والتطوير هو هذا الجهل والأمية في الدين والحياة. وعلم أنّ الصراع الذي استعر أواره، واشتدّ لهيبه كان بين عقل متنوّر بنور العلم، وفكر أعماه ظلام الجهل. فوضع لنفسه استراتيجية محكمة، واتّخذ منهجا قويما، ساعده على وضع الأساس المتين لبناء المجتمع الفاضل. إنّها استراتيجية التّعليم والتّكوين والتثقيف؛ لأنّ التعليم وسيلة مهمّة وناجعة في إزالة الغشاوة التي تمنع الأبصار أن ترى النور"1. فنلحظ من هذه المقولة أنّ الركيزة الأساس للإصلاح والدعوة هو العلم الذي يعدّ سلاحا فتّاكا بالجهل، والتعليم القاعدة الأساس لتنوير العقول، وإزالة الغشاوة عن القلوب. وفي هذا السياق يؤكّد الكاتب على قيمة العلم وضرورة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلّي فيقول:"إنّ الحياة الحقيقية لن تكون، ولن تتوافر إلّا بالاهتمام بالتعليم، وتهيئة الجو المناسب لهم كي يتقدّم، وتسخير كلّ الإمكانات لكي يزدهر. يخاطب الشيخ عبد الرحمن الأمة بهذا المنطق، ويلقي إليها هذه الحقيقة، ويسألها أسئلة دقيقة، ويحمّلها المسؤولية في إيجاد قاعدة صلبة لبناء حياة مزدهرة، حافلة بالوسائل الكافلة بالعيش في أمان وأمن وسلام، وقوّة وثقة. هذه الحياة لا يحقّقها إلاّ وجود مدارس متعدّدة التخصصات، مشتملة على مختلف فروع المعرفة. مدارس تكون قادرة على إعداد جيوش من الرجال، الذين يكونون قادرين على

حماية الوطن من الأعداء الثلاثة: الجهل والفقر والمرض، جاهزين لصيانة الأمة ووقايتها من كلّ سوء يصيبها في أصولها ومبادئها.."[2]. وأصبحت العملية التعلمية التعليمية وفق المقاربة الحديثة، المقاربة بالكفايات عملية تعتمد أساسا على المتعلّم الذي هو محور العملية التعلمية التعليمية، والمعلّم هو الموجّه والمنشط والمكوّن يدير العملية ويشرك فيها المتعلّم؛ انطلاقا من مقولة جون ديوي (المدرسة مختبر وليست قاعة محاضرات). يقول الكاتب في هذا المضمار:"إنّ التعليم الحديث المُجدي هو الذي يقلّل من أسلوب التّلقين -قدر المستطاع- ويعتمد على إشراك التلميذ والمتعلّم في عملية التعلّم والتّعليم...إنّ المدارس الناجحة ومراكز التكوين والجامعات العريقة، تخلّت أو قلّلت من التلقين، وتقديم المحاضرات، التي يكون فيها المتعلّم مستمعا ومتلقّيا فقط..بل أصبحت تتوخّى أساليب تشغل الطالب، وتجعله مرتبطا بالمكتبة ومراكز التعلّم ومنابع التكوّن..عن طريق تكليفه ببحوث، والقيام بدراسات، وكتابة تقارير، وإجراء مسابقات..كلّ ذلك يسهم في تفتيق ذهنه، وإعمال عقله، وتطوير فكره، ويساعد على استغلال مواهبه، واستثمار طاقاته استثمارا جيّدا.."[3].

ولم يكتف الكاتب بهذا الجانب بل وجّه شطر اهتمامه إلى الطلّاب موجّها إيّاهم إلى ما يصلح لحياتهم العلمية والحياة العملية، وهي توجيهات

سديدة ونصائح رشيدة تقود طالب العلم إلى الانتفاع بتحصيله العلمي وتوسيع مداركه بالرصيد المعرفي واللغوي والأدبي، وفي هذا الصدد يخاطب الطلاب بقوله:"على الطالب كذلك أن يوسّع مداركه بعدم حصر نفسه في جانب معيّن من العلم، أو دائرة محدودة من المعرفة، يجب عليه أن يكثر من المطالعة والاستزادة من المعارف، حتّى تكون معالجته للمسائل والقضايا التي تعنّ له بعد ذلك في الحياة العملية متّسمة بالشمولية والتفتّح والعمق والتحليل والمناقشة الواسعة..تنمّ عن سعة الأفق. بحيث إنّه كلّما توسّعت دائرة معارفه كان تفكيره أقربَ إلى الصحّة، وأسلم من الأخطاء؛ لذلك علينا تعويد أنفسنا على ذلك أيضا.توسيع المعارف والتّنويع في التّحصيل العلمي، ولا نكتفي بجانب معيّن، ومجال محدّد في ذلك"[4].

ب – 2 – الاعتناء بالشباب:

من الموضوعات التي أثارت اهتمام الكاتب، وحملته على تخصيص جانب من مؤلفاته شريحة الشباب الذي بعدّ قلب الأمة النابض، ومستقبلها الواعد، فهو عدّتها في السراء والضراء، وفي مؤلَّفه حول بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار يسوق موضوع الاعتناء بالشباب وتفهّمهم فيقول:"كان الشيخ حمو يرى أنّ على الشيوخ والكبار والسّراة أن يراعوا نفسيات الشباب

الصاعد الناهض، ويتفهّموا عقلياتهم التي لمّا تنضج، وتطلّعاتهم التي لا حدّ لها، ويقارنوا بين تجربتهم هم ونصيب الشباب منها، الذي هو وشل، بالنسبة للوابل الذي عندهم، فيعرفوا كيف يتعاملون مع ما يصدر من الشباب، ويكون الرفق والأناة ورحابة الصدر منهم"[5]. وإنّ الأمة لتنتظر من شبابها ما ينتظره المدلج من تباشير الصبح، والأمة تحتاج إلى سواعد شبابها في البناء والتشييد، وإلى الأخذ بيدها إلى ما يصلح لها في الحياة، ولابد للأمة أن تعدّ العدّة لهؤلاء الشباب من أجل العمل والمضي بها قدما، وإلى هذا يوجّه الكاتب الشباب قائلا:"المسؤولية تتطلّب منك أيّها الشاب الطالب أن يكون هدفك من التّكوين هو خدمة المجتمع، والعمل على الرفع منه إلى العوالي، ببذلك التّضحيات الغوالي، وسهر الليالي الطِّوال (....) الشباب في حاجة إلى أن يبني نفسه بناء قويّا، ليقدر على القيام بمهمّته الكبيرة، وهي بناء محيطه، الذي هو مسؤول عنه"[6].

والكاتب في موضوع الشباب يبيّن جهود الإمام الشيخ إبراهيم بيوض في استنهاض همهم وشحذ عزائمهم، وتكوينهم تكوينا جيدا يؤهّلهم لتحمّل المسؤولية وأعباء الحياة، والصبر على لأوائها، وقد اكتسب هؤلاء الشباب ثقة مربّيه الشيخ بيوض، يقول الكاتب:"إنّ الشباب اكتسب ثقة مربّيه الشيخ بيوض فيه؛ بما أظهره من روح عالية في تحمّل المسؤولية، وما أبداه من بطولة وشجاعة وذكاء في انتزاع النّصر ممّن كان المعرقل لمسيرة الإصلاح، جامدا أو فاسدا. والشيخ نفسه يتحلّى بروح القائد المحنَّك، والأب العطوف، والمربّي الحاني، فيقدّم وصفة نفسية ترفع من معنويات الفتية

الذين آمنوا بواجبهم، فأمّنوا النصر للإصلاح، وفي الوقت نفسه تمنحهم طاقة للاستمرار في هذا النهج السليم، وبهذه الوصفة يوقفهم على مسؤوليتهم الكبيرة التي دفعهم إليها ما قدّموه من تضحيات، سنحت وسمحت للإصلاح كي يتقدّم ويزحف إلى الأمام"[7]. هكذا صنع الشيخ الشباب الذي يحمل مشعل الإصلاح ويحمل أمانة قيادة الأمة والأخذ بيدها إرشادا وتوجيها، وتكوينا وتطويرا.

ب – 3 – التربية والأخلاق:

تعدّ التربية أساس إعداد الفرد للحياة روحيا ونفسيا وعقليا وتربويا واجتماعيا، وتكوينه لمختلف مجالات الحياة، "أخي المربّي: إذا أردْت أن تربّي ابنك تربية إسلامية فمعنى ذلك أنّك تلقّنه منهج الخالق، وتضمن له السلامة في شتّى مناحي الحياة ومجالاتها، وإنّك إذا نفّذت أمر الله فيه قطفت ثمار ذلك برّا وسعادة تحفُّك ومن تربّي"[8]، وكما أنّ الأخلاق معيار نهضة الأمم ورقيها وتطورها، وبنائها الحضاري، ويوضّح الكاتب صفة الشمولية في التربية وغايتها فيقول:"إنّ التربية الإسلامية تربية شاملة، نابعة من طبيعة الإسلام الشامل لكلّ جوانب الحياة، فهي تهتمّ بالتربية الدينية والخلقية والعقلية والجسمية والجمالية..؛ لأنّها تعدّ الفرد المسلم ليكون قويا في كلّ شيء، ليحقّق أحقيته في الاستخلاف في الأرض، وليضمن استقلاله بنفسه، ولا يكون عالة على غيره، يلتجئ إليه ويستنجد به، ومن بعد ذلك يكون تابعا له، يتحكّم في حياته ومصيره"[9]. ومن العناوين التي ركّز عليها الكاتب في بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار عنوان الأخلاق أساس البناء وحول هذا الموضوع يبيّن الكاتب أهمية التحلّي بالأخلاق قائلا:"إنّ ما يضمن البقاء في سواء الصراط، ويبعد الزّبد الذي يذهب جفاء، ويحقّق الفهم الصحيح للثقافة، التي يُحتفل بها في المناسبات العديدة، وتُتّخذ وسيلة للبناء- إنّ الذي يضمن ذلك هو التحلّي بالأخلاق الحسنة الصحيحة، وتوجيه الأبناء والنشء إليها، بداية من التوجه إلى الله عزّ وجلّ بالخشية، بدل خشية خلقه، وهذه أولى خطوات بناء النفس المؤمنة"[10]، ويعدّ الكاتب القيم الأخلاقية أساس الترابط والانسجام بين أفراد المجتمع، وعليها تنبني منظومة القيم، ومن هذه القيم قيمة الصدق التي تصون كرامة الإنسان وتعزّ شأنه، وتحفظ سمعته،

والكاتب يجلّي هذه القيمة الخلقية في قوله:"الصّدق خلّة حسنة، تبعث على الطمأنينة والراحة، وهي تنشر الثقة والأمن بين الناس، وتوفّر التعايش والسلام والسعادة بين المتساكنين والمتعاملين، الصدق هو الذي يحفظ للإنسان كرامته وعزّته وهيبته، ويترك له بين الناس ذكرا عطرا، وثناء جميلا. إنّ الصدق ينيل الناس عدلا وخيرا، والكذب يلحق بهم ظلما وضررا، والإسلام نهى عن الإضرار والظلم"[11].

ب – 4 – الاستقرار الأسري والتحديات التي تواجهه:

يعدّ الفرد اللبنة الأساس في صرح الأسرة، وفي بناء المجتمع، ومتى تلقى الفرد التربية السليمة والصحيحة في الأسرة نشأ تنشئة صالحة، واستقام على أمره، وحمل على عاتقه مسؤولية الإسهام في النهوض بالمجتمع وتطويره، فـ"الأطفال في حاجة إلى أن ننشئهم على حبّ الروح الجماعية والتعاون مع الآخرين، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وإنّ زماننا ليس زمان بطولات الأفراد، وإنّما هو زمان بطولة الهيئات والمؤسسات والمجموعات"[12].

والأب هو الركيزة الأساس في استقرار الأسرة، وتحقيق الأمن والأمان لها، ويبيّن الكاتب دور الأب في هذا الجانب بقوله:"اليد الراعية والرؤية الطيبة والتوجيه الراشد، تأتي أوّل ما تأتي من الأب الواعي والراعي لهذا المؤهلات. والبيئة السليمة تبدأ من أرض الأسرة التي تحتضن هذه النبتة (الطفل) وترعاها بالسقي: تنشئة وتهذيبا وتوجيها ففي المرحلة الأولى في نشأة الإنسان تبدأ شخصيته في التشكل واكتساب خصائصها التي تحدّد مظاهرها في المراحل اللاحقة"[13]. والأسرة التي تحافظ على هذا الاستقرار وتنمّي روح التواصل بين أفرادها، وتعزّز الثقة بينهم تكون سلاحا لمجابهة التحديات التي تواجهها بمختلف أنواعها الفكرية والثقافية والحضارية، ومن هذه التحديات يذكر الكاتب "تأثير الأجهزة الإلكترونية على الحياة الاجتماعية داخل الأسرة، وجود أجهزة الاتصالات الحديثة بكثرة، وتوافرها في أيدي الأطفال، واستعمالها بشكل مستمرّ يعدّ تحدّيا كبيرا للأسرة بخاصة والمجتمع بعامّة، إذ إنّ تنوّعَها واختلافها في الأبعاد

والاتّجاهات والأهداف...يبعث على الحيرة في كيفية الاستفادة منها، وكيفية التحكّم فيها؛ بما لا يسبّب خللا في عمليات التنشئة الاجتماعية والتربية الأسرية المناسبة لمقوّماتها وقيمها"[14]. فالأسرة هي الحصن الحصين للمجتمع، وهي التي تُعِدّ الفرد إعدادا روحيا وأخلاقيا وتربويا واجتماعيا وتحصّنه من كلّ ما يؤثّر فيه تأثيرا سلبيا، وهي ما تزال"مهد التنشئة الاجتماعية، وحصن التكوين والإعداد. لذا لابدّ من وضع برامج، وإعداد مشروعات للعناية بها، لتلبية الحاجات الماديّة والمعنوية، التي تقوم على التنمية المتكاملة لمواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية أو القادمة. يعني أنّ الاهتمام بالبيت ضرورة كبيرة وأساسية لبناء المجتمع المسلم"[15].

ب – 5 – حلقة العزابة وبعدها الروحي:

تشكّل حلقة العزابة نظاما دينيا واجتماعيا، يطلق عليه (نظام العزابة) ويسمّى بنظام الحلقة، وهذه الحلقة يشير إلى معناها الباحث صالح سماوي -لغة واصطلاحا- نقلا عن الدرجيني القائل:"الحلقة اسم لجماعة تشتمل على الشيخ، يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم في الدين، بحسب ما يفتح الله على كلّ واحد منهم، يحصل البعض وإن أعياه الكل، (فإن لم يصبها وابل فطلّ) فكأنّهم يحلقون ولو أنّهم مفترقون"[16]، ويبيّن الباحث نفسه القيمة التي تكتسيها الحلقة، والمكانة التي تحتلّها في المجتمع الإباضيالمزابي بقوله:"قيمة المشايخ و(العزابة) لدى العامّة مرموقة، تظهر فيها البراءة والصدق، ونظرة إكبار وإعجاب فكان التعامل معهم باحترام ووفاء وإخلاص ممّا أدّى إلى الاستسلام لرأيهم، أو نظريتهم أو الحكم والفصل فيما يشكل عليهم أو يستفسرونه"[17].

وأما عن الشروط التي تشترط في العزابي فقد أجملها الكاتب بوحجام في قوله:"يشترط في العزّابي الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية، والاتّصاف بالورع، والتّحلّي بالأخلاق الفاضلة والعناية بحفظ القرآن الكريم ومدارسته، وعمارة المسجد وحضور مجالس الذكر، والانقطاع للعبادة...كذلك يشترط في العزّابي أن يكون عمله لله، لا يأخذ أيّة أجرة على ما يقوم به في إطار هذه الهيئة"[18]، ويضيف الكاتب نفسه المهام المنوطة على كاهل حلقة العزّابة، وهي مهام دينية وتربوية واجتماعية واقتصادية، مهام يمارسها العزابي في إطار نظام الحلقة وفق البنود التي تحكمه، والمبادئ التي يرسو عليها هذا النظام، يقول الكاتب:"إنّ المهمّة الأولى والأساس في عمل العزّابة هي التربية والتعليم، وتعليم الدين أولا؛ لهذا كانت عنايتها بالقرآن الكريم والسنة النبويّة في الدرجة الأولى، ثمّ ببقية العلوم؛ بما تستطيع إلى ذلك سبيلا. إنّها تحرص على إيجاد الوسائل المحقّقة لهذا الغرض، وبذل الجهد الكبير في هذا السبيل، وابتكار الطرق والمناهج التي تدعو إليها الحاجة...من المهام التي يوليها العزابة عناية كبيرة، ويرونها فرضا عليهم – بكونه واجبا دينيا – مهمّةُ الوعظ والإرشاد التي لا يخلو منها أيّ مسجد للإباضية، في كلّ يوم من أيّام السنة، فهم يعدّون المسجد مدرسة ومركز إشعاع، منه يأخذ الناس -بمختلف طبقاتهم ومستوياتهم وتخصّصاتهم- دينهم بصفة دورية ودائمة، لهذا كانوا يهتمّون بالوعظ والإرشاد اهتماما كبيرا، فلا يقتصرون في المسجد على الصلاة وقراءة القرآن فحسب، بل يوسعون من دائرة العبادة إلى ما يحقّق فهم دين الله فهما جيّدا وتطبيقه تطبيقا صحيحا"[19]. إنّ هذه الأدوار التي يقوم بها العزّابة لتنمّ عمّا يحظى به هذا النظام من مقام في المجتمع، ويكشف عمّا لهذا النظام من هيبة ووقار يجعله محترما لدى الخاص والعام، وإليه يحتكم في القضايا الدينية والتربوية والاجتماعية، وكما أنّ له بُعْدا توجيهيا لسلوك الناس، وعن أثر مهام العزابة في سلوك الناس يقول الكاتب:"إنّ ذلك هو الذي يضمن توجيه سلوك الناس توجيها سليما، مؤسّسا على الدين وعلى النظرة الحسنة والرؤية الصحيحة للحياة في جميع نواحيها ومجالاتها"[20].

ب – 6 – الشعر والهوية القومية:

اهتم الشعر أيّما اهتمام بقضايا القومية العربية، فظهر الشعر القومي فكان لهذه القومية حضور في الشعر الجزائري، ويبيّن الكاتب دور الشاعر الجزائري ومأساة الاغتراب اللغوي الذي كان يكافح في استماتة في سبيل تعريب الجماهير، وما قام به هو:"محاولة جادة وصادقة للدفاع عن القومية، وإثبات الهوية، وقد نجح في هذا نجاحا كبيرا، بخاصة إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، رغم أنّ الوطنيين كانوا يخوضون -في مواجهة كلّ ذلك- معارك متعدّدة الجبهات، ويواجهون وجوها مقنَّعة، ويلتقون بسبل ملتوية، ويحاربون أعداء ظاهرين ومتستّرين...كلّ هذه الواجهات تجنّدت لضرب الشخصية الوطنية، والنيل من القومية العربية والإسلامية"[21]. ومن القضايا التي استرعت انتباه الكاتب، واعتصرت قلبه وأثارت أحاسيسه ومشاعره، هي القضية الفلسطينية التي تناولها من خلال أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي يعدّه الكاتب "أحسن من كتب عن القضية فلسطين: فكرا وأسلوبا وتحليلا..لقد شغلت قضية فلسطين بال الإبراهيمي، واستحوذت على اهتماماته، ولذلك انبرى مدافعا عنها، في كلّ مناسبة وفرصة سانحة...كتب الإبراهيمي عن القضية الفلسطينية أكثر من خمس عشرة مقالة، اشتملت على أفكار متنوّعة، ونظرات عميقة ثاقبة، وتضمّنت تحليلا جيّدا للأحداث والمواقف، مواقف العرب والمسلمين والصهاينة، وحملت وجهات نظر مستقبلية خطيرة للنتائج المترتّبة عن تعاقب الأحداث وتسلسلها الإيجابية والسلبية، وفيها كشف عن تخاذل العرب، وإسهام بعضهم في ضياع فلسطين، وفيها نبّه إلى مناورات الصهاينة، وتواطؤ الغرب مع اليهود لضرب المسلمين واغتصاب فلسطين..."[22].

وقد تتبّع الأدب الجزائري القضية الفلسطينية بكّل أبعادها، وحيثياتها وتطوّراتها، وفي هذا المضمار يوضّح الكاتب ذلك بقوله:"وقد عرف الأدباء خبايا القضية: خوافيها وقوادمها. عرفوا دسائس الصهيونية ومناوراتها، وفقهوا انعكاسات كلّ ذلك ونتائجه؛ لأنّهم ذاقوا استعمارا لبلادهم مشابها للاستعمار الصهيوني، فعرفوا مرارة الضيم والقهر والاضطهاد، وقدّروا معنى التضحية لأجل استرجاع الحرية والكرامة"[23].

ويسـجّل الكاتـب فـي موضـوعاته قيمـة المحافظـة علـى الأصـالة والهويـة، وحضـورا لهـا فـي الشـعر الجزائـري الحـديث الـذي يعـدّه مرجعيـة أساسية لهذه القيم والمقومات الأصيلة، كما يلـحّ أن تتجسّد فـي مجـالات حيـاة المجتمع، ويوضّح هذه الفكرة بقوله:"فعلينا أن تأمّل ونتملّى جيّدا مـا أنتجتـه قريحة شعرائنا الجزائريين، وما نقلته إلينا مشاعرهم وأفكارهم من قيم ومـا سجّلته من مقوّماتنا، لنعرف هذه العناصر التي تربطنا بأصولنا ومبادئنـا. ثمّ لنقف على الدلالات التي يحملها تناولهم لها ونفقه الرسائل التـي يوجّهونهـا إلى كلّ وطني غيور حرّ أصيل"[24]. ويشير الكاتب أيضا إلى قيمـة المحافظـة على هذه الهوية والأصالة التي تحصن الفرد والشباب والناشئة من كلّ غزو فكري واستلاب ثقافي، حتى يسلم من مغبّتها، وينجو من الوقوع في مآزقهـا، وفـي هذا الصـدد يقـول الكاتـب:"إذا مـا أردنـا أن نحفظ لأمتنـا أصـالتها، وأن نرعى لشبابنا هويّتهم، وأن نأى بنابتتنا عن أفخاخ الغزو الفكري، وأن نبتعد برعايانا عن أشراك الاستلاب الثقافي، وأن نهرب بناشـئتنا عن وبـاء عقوق الأصـول، والمـروق مـن السـبيل السـويّ، وأن نجنّـب أنفسـنا وأبناءنـا مشـانق الانتحـار الفكـري...فمـا علينـا إلّا أن نتفقّد مكانـة هذه المقوّمـات فـي تفكيرنـا وتخطيطنـا، وفـي مناهجنـا وبرامجنـا، وفـي تربيتنـا وتنشـئتنا، وفيمشـروعاتنا ومبادراتنا، وفي نوايانا وطوايانا وزوايانا... ونرجع إلى مـا عالجـه شـعراؤنا في أشعارهم في موضوع الهويّة: تسجيلا للمقوّمات والقيم الأصيلة"[25].

ب – 7 – أدب الرحلات:

أدب الرّحلات أدب يخلّد أغلـى الـذكريات، ويسـجّل أروع الأحـداث من الجولات والاستطلاعات، فالأديب المبدع من يصنع من تلك الرحلات أدبـا رائعـا ويحـاول أن يجعـل مـن المتلقـي عنصـرا فـاعلا يعـيش معـه تلـك الوقفات والمحطات ويستمتع بها، فأدب الرحلات عند الكاتب محمد بوحجام هو"فنٌّ مهمٌّ، يسجّل بدقّة وواقعية ما يدور في الحياة، بخاصّة إذا كان ما يقدَّم أشياء أو أمورا أو أحداثا، يكون فيها نقل خبرة، أو تسجيل عبرة، أو تقديم نظـرة ..ثـمّ إنّ هـذه الـرّحلات تتضـمّن بعـض المشـاهد الطريفـة، والمواقـف الظريفـة، وتنقل بعض الأشـياء الغريبـة أو المدهشـة أو الخارقـة، أو اللافتـة للأنظـار، وتحـرّر بطريقـة فنيـة جميلـة، فيهـا الإبـداع والإمتـاع"[26]. فالأديـب

يحوّل تلك المشاهد التي وقف عندها، والمحطات التي نزل فيها، والوقفات التي حرّكت مشاعره وعواطفه، والأحداث التي أثارت لواعج نفسه، إلى صور أدبية ناطقة بالعبر والعظات، يفيد منها القارئ، وقد أشار الكاتب إلى ذلك قائلا:"لذا تكون هذه الرحلات المدوّنة سجلّا مهمّا لرواية التاريخ، ومصدرا مهمّة لنقل الأخبار، وسفرا ممتعا للترويح عن النفس، ومعينا كبيرا تُتَشرَّب منه غوالي المعاني وتُتَعَلّم آيات المعالي"[27].

ومن أهمّ الرحلات التي قام بها الكاتب في حياته، ودوّنها ونشرها (الرحلة الخالدة إلى تركية الماجدة) وهي التي دفعته إلى نشر رحلاته الأخرى بما فيها رحلاته إلى عمان وزنجبار، ورحلتيه إلى سورية ولبنان التي سمّاها (رحلة الشام محطّة في حياة بوحجّام) ورحلتيه إلى العراق والسودان، ورحلتيه إلى فرنسة وجربة، وغيرها.

هذا وقد أبدى الكاتب بعض ملحوظاته في تدوين رحلاته ومنهجه المتّبع في كتابتها وتعامله مع أدبها كـ"سرد بعض التفصيلات في رحلاتي، قد تكون من الخصوصيات التي يراها بعض الناس زائدة أو غير مهمّة... عمدت إلى نقل بعض أقوال العلماء والحكماء والمجرّبين، لتوضيح بعض المواقف وتقديم بعض التجارب ممّا حصل في أثناء هذه الرحلات...، لبيان ما حدث، أو التأكيد على صحّته...اجتهدت في تقديم هذه الرحلات -بقدر كبير- بأسلوب أدبيّ، لم يخْلُ من الوصف والتصوير واعتماد الخيال، وشفعته بشواهد أدبيّة -بخاصة- الأبيات الشعرية..لإضفاء المسحة الفنيّة والأدبية على تسجيل هذه الرّحلات...كثير من الرحلات التي قمت بها لم أدوّنها، وبعضها دوّنتها بطريقة عادية، لا تصلح أن تدخل في عداد أدب الرحلات...، بسبب طريقة تدوينها البسيطة، التي لا تتعدّى تسجيل الحدث أو الموقف أو المشهد، أو نقل الخبر... بطريقة عادية جافة. رحلاتي إلى عمان كانت كثيرة، قد كتبت عنها كثيرا، بطرق مختلفة وبأساليب متعدّدة...لم أضعها تحت عنوان واحد، بل حرّرتها بعناوين مختلفة.."[28].

فالكاتب في هذه الرحلات التي قادته إلى شرق إفريقية سيما وقوفه على الآثار والمخلفات الحضارية التي لم تسجّلها الكتب والمذكرات والوثائق

قد ملكت مجامع قلبه، وأسرت وجدانه فسجّل ما شاهده "حتّى يكون دليلا على تثبيت حقيقة، أو تفنيد زعم"[29].

وقد حضر الكاتب مشاركا في الندوة الدولية حول تاريخ الحضارة الإسلامية في شرق إفريقية في زنجبار أيام 2-4 من سبتمبر 2013م بحضور أساتذة محاضرين من خمس عشرة دولة إفريقية وأسيوية وأوروبية، ومن المشاركين من الجزائر الكاتب محمد بن قاسم ناصر بوحجام بمحاضرة عنوانها (دور العمانيين في نشر الثقافة الإسلامية في شرق إفريقية) وممّا جاء في محاضرته أنّ "نتيجة الازدهار الكبير الذي عمّ الشرق الإفريقي -بفضل سياسة أهل عمان الجيّدة- كان نشر الإسلام والثقافة العربية في المنطقة. فساد استعمال اللغة العربية في مدن الساحل ومراكزه، ووفد كثير من العلماء والفقهاء من اليمن وحضرموت وعمان وغيرها للاستقرار في المنطقة والنشاط فيها. وبفضل الجهد العماني أصبحت منطقة أوغندا مهيّأة لانتشار الإسلام، بعد أن دخلتها جماعات التجّار، وعمّت بين سكّانها وقبائلها اللغة العربية واللغة السواحلية، رغم بعدها عن الساحل الإفريقي. وبرزت أسماء عمانية أسهمت في نشر الإسلام في إفريقية، وأُسِّسَت مدن جديدة وإمارات، وظهرت صحافة عمانيّة، أدّت دورا مهمّا في نشر الثقافة. وتطوّر العمران في الساحل الإفريقي، وتأثّر بالطابع العماني والعربي...هذه المظاهر تبرز الدور العماني الكبير في شرق إفريقية"[30].

وأمّا عن رحلة الكاتب الخالدة إلى تركية الماجدة -على حدّ تعبيره- قد نفثت في روعه مشاعر وأحاسيس ممّا شاهده في زيارته لعدّة مواقع تربوية وثقافية، وصروح علمية ومعاقل فكرية، حيث سجّل الكاتب أبدع المناظر وأروع المشاهد وخلّد أغلى الذكريات في مذكرات الأيام، ومن الصروح العلمية التي زارها مع الوفد المرافق له مدرسة الفاتح كوليجي واستوقفته قيمة اهتمام المدرسة بالطالب وتواصلها مع أسرته حيث"تعيّن المدرسة (أستاذ عائلة) لكلّ طالب؛ ليتابع مسيرته التعلُّمية ..يقوم هذا المعيَّن بزيارة منزل التلميذ ثلاث مرّات في السنة على الأقلّ، يتفقّد وضعيته في البيت: ظروفه الاجتماعيّة، علاقته بمن في البيت، ظروف قيامه بشؤونه المدرسية، معرفةَ ما يعانيه من مشاكل إن وجدت. هذا الإجراء يشبه ما

يسمّى (طبيب الأسرة). كما أنّ وليّ الطالب عليه أن يزور المدرسة أربع مرّات في السنة على الأقلّ. هذه العلاقة الوطيدة بين المدرسة والمنزل هي من أسباب نجاح التعليم في مدارس الخدمة"[31]. وكما لفت انتباه الكاتب مدى حسن التخطيط ودقة التنظيم التي تتميّز به مدرسة الفاتح من حيث استغلال مساحتها، حيث يبيّن ذلك بقوله:"ثمّ تجوّلنا في مرافق المدرسة المتعدّدة المتنوّعة، وبخاصة المنشآت الرياضية، ومدرّجات النشاط العلمي والثقافي، وقاعات الإطعام وغيرها...ما لاحظناه استغلال المدرسة طوابق تحت الأرض لقاعات الإطعام والمنشآت الرياضية: من الملاعب والمسابح وغيرها...هذا جانب من مظاهر حسن التخطيط والتنظيم واستغلال كلّ بقعة في المبنى، ووضع كلّ شيء في مكانه ونصابه"[32]. وخلص الكاتب من خلال وقفاته بالمدرسة إلى أنّ "عوامل النجاح تكون في حسن التخطيط، وجودة التسيير، وروعة التنظيم، والشعور بالمسؤولية، والشمولية في التفكير، والعمق في النظر والوضوح في الرؤى، وحسن استشراف المستقبل.."[33].

هذه نماذج من الموضوعات التي تناولها الكاتب في المؤلفات المذكورة، ونلحظ تنوعها بين الموضوعات الدينية والإيمانية والموضوعات التربوية والاجتماعية والموضوعات التاريخية والثقافية والأدبية، فهو دليل على سعة الكاتب الثقافية والأدبية، ورسوخ قدمه في اللغة. وكما نلحظ الكاتب يوطّئ لموضوعاته بذكر الدوافع والأهداف التي يرمي إليها. وتظهر شخصيته الرسالية من خلال كتاباته فهو يسعى إلى ترسيخ القيم الإيمانية والتربوية والاجتماعية والإنسانية والهوية الوطنية، والقيم الفنية والجمالية، وهذا ممّا ينمّ عن توفيق الكاتب بين الإبداع الفكري والأدبي والفني. فما خصائص مؤلفات الكاتب؟

3 – خصائص مؤلفاته: من هذه الخصائص نذكر ما يأتي:

- تناوله القضايا الفكرية والعلمية، والقضايا الاجتماعية والأخلاقية والتربوية، والقضايا التاريخية والسياسية، والمنافحة عنها من خلال تشخيص الواقع ونقده، وتوعية أفراد المجتمع وتحسيسهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة وإرشادهم إلى سواء السبيل، يقول وهو يبيّن المعركتين التي يعيشها المجتمع وهما معركة الوعي ومعركة التربية:"الوعي الذي غاب عن حياة كثير من الناس، وعن كثير من المشاهد، في مختلف المجالات: الدينية، الفكرية، الاجتماعية، التربوية، السياسية، الاقتصادية..جعل تصرفاتنا لا ترقى إلى مستوى الكرامة الإنسانية، التي ميّزنا الله بها عن سائر المخلوقات. ولا تقوى أن تصل بنا إلى أهدافنا، وتردّ عنّا الأضرار المادية والمعنوية، ولا نتمكّن أن تهدينا إلى سواء السبيل في تفكيرنا، وتخطيطنا، وتدبيرنا..وفي تحرّكاتنا، وأنشطتنا، ومشروعاتنا. التربية التي فقدنا أسسها، وافتقرنا إلى مقوماتها، وضللنا عن طريقها الصحيحة..وابتعدنا فيها عن أصولنا ومبادئنا..جعلنا ذلك نتخبّط خبط عشواء، وعشنا في متاهات..في التنشئة والتكوين والإعداد والبناء..وتوجيه مجتمعاتنا التوجيه السديد..فبات لزاما علينا أن نخوض بكلّ حزم وعزم وتخطيط محكم، وتدبير جيّد..مع الاستمرار والدأب، من دون توقّف ولا تراخ ولا تسويف.."[34].

- اهتمامه بالقضايا العربية والإسلامية والقضايا الوطنية، وسعيه من خلال كتاباته إلى ترسيخ الهوية الدينية واللسانية والاجتماعية والتاريخية، ناقدا اختلاف أبناء الملّة الواحدة هو قضيّة الهوية، فيقول:"إنّ ما يستغرب منه أن تثار قضيّة الهوية، وأن يختلف فيها أبناء الملّة الواحدة والثقافة الواحدة في هذا الوقت الذي يتكالب فيه الأعداء، ويسعون إلى إزالة هذه الأمة العربية من الوجود، ويدعو فيه المغرضون والسذّج منّا إلى عالمية الثقافة والدخول في كنف النظام العالمي الجديد، تمحى فيه الفوارق الثقافية، وتكون فيه السيادة والسيطرة للقوي جاها وسلطانا وديكتاتورية وطغيانا.."[35]. فالكاتب متحمّس للهوية القومية ردا على بعض المغرضين الذين يسعون إلى إذابتها، ومواجها الأعداء المتربصين بها.

- الروح الأدبية التي تنبض في مؤلفاته تترجم شخصيته الفنية المبدعة، ففي موضوع مفهوم مصطلح حوار الحضارات في حاجة إلى تحديد وبيان يقول:"تعالت أصوات كثيرة، متعدّدة الألوان والأشكال من هنا وهناك، تنادي بالحوار بين الحضارات، وعقدت ندوات، وأقيمت مؤتمرات، وكتبت مقالات...كلّها تركّز على التعاون بين الشعوب، وتحثّ على التواصل الثقافي. الهدف المعلن هو -دائما- إزالة مظاهر التوتّر والصّدام، وإتاحة فرص التقارب والتآلف والتّجاور، ومدّ جسور التعاون، واحترام الهويات الثقافية الخاصة، وتقدير مكانة الحضارات المتنوّعة..."[36].

- القيم الإيمانية والأخلاقية، والقيم التربوية والاجتماعية، والقيم التاريخية والوطنية حاضرة في مختلف كتاباته مهما تنوعت موضوعاتها؛ بل نكتشفها من خلال عناوينها، ويشير الكاتب نفسه إلى هذا المبدأ قائلا:"...إلى جانب السيرة النبوية تقدّم للأطفال صور من مظاهر الإيمان من سير الصحابة والتاريخ الإسلامي وتاريخ وطنهم وأسرتهم، والحياة الاجتماعية التي ينتمون إليها. إنّ هذا التّقديم يعين على تحصينهم من الاستلاب والانفصال عن تاريخهم وتراثهم؛ فلا يتنكّروا لهُويتهم وانتمائهم وعاداتهم وتقاليدهم"[37]

- الوصف الأدبي والتصوير الفني الدقيق: نجد لشخصية الكاتب الأدبية والفنية حضورا في مختلف كتاباته، ويمثّلها الوصف الدقيق في تناول الموضوع عامة، وفي وصف رحلاته خاصة. فالوصف ميزة فنية تمتزج بالخيال الذي يدفع بالكاتب إلى إخراج صورة فنية للموضوع فكرة وأسلوبا.يقول الكاتب بوحجام في هذا الصدد:"والإبداع والتجديد والتطوّر يتجلّى أكثر ممّا يتجلّى في جانب التصوير الفني. كما أنّ للتصوير علاقة وثيقة بالشعور؛ إذ إنّ الأديب الفنّان يعمد إلى التصوير ليكشف عن مشاعره وأحاسيسه، وبه يُطلِع المتلقي على عالمه الداخلي ليؤثر فيه نفسيّا، ومن ثمّ ينقل إليه العدوى الشعورية؛ ليعيش معه ملابسات الموضوع أو الفكرة أو الشعور"[38]. ونلمس هذه المسحة الجمالية الفنية، في وصفه إحدى رحلاته التي أثارت مشاعره، وثار وجدانه فنبس بكلمات ونسج عبارات قائلا: كان الجوّ لطيفا، يهبّ من حين إلى حين نسيم عليل، يحرّك الماء، فيرسم على

أديم البحر أشكالا ولوحات بديعة، تتكوّن من تعرّجات الماء والانكسارات التي تكون على السطح، فتنعش فينا أرواحنا، وتستثير مشاعرنا لنقول شيئا، ونلفظ بكلمات، ونتفوّه بعبارات، ونقول شعرا..يفصح عن المكنون، ويعبّر عن المنظور والمحسوس والمسموع والمشموم..كلّ هذا ما يهيّج الوجدان، ويثير الإحساس، ويستفزّ الشعور..."[39].

- الموضوعية في قراءة التاريخ وتمحيص أحداثه ووقائعه: ومما تتضح فيه هذه الخصّيصة حديثه عن البربر والإسلام فيقول:"إنّ البربر قوم لهم مقوّماتهم، ولهم خصائصهم التي تميّزوا بها، والتي حدّدت ملامح شخصيتهم، وبلورت كيانهم، هذا التميز فسّره بعض الناس تفسيرا خاطئا، وبنوا عليه أحكاما مجحفة في حقّهم. من ذلك سوء تقدير علاقتهم بالإسلام، ونعتهم بالمارقين عنه، والمتمرّدين عنه.."[40]، ويضيف قائلا:"بيّنا في هذا البحث كيف كان البربر أصلاء في تفكيرهم، أقوياء في شخصيتهم، لهم فضائل ومكارم اعترف لهم بها السّابق واللاحق من كرماء النفوس وعظمائها. كما وضّحنا العلاقة الحميمة التي كانت بينهم والإسلام، وارتباطهم القوي باللغة العربية، وأبرزنا إسهامهم الكبير الفعّال في المحافظة على الإسلام نقيّا من الشوائب، قويا في النفوس، وكشفنا عن دورهم العظيم في نشره في الأوساط الإفريقية بخاصة، ونقلنا ما سجله الدارسون والكتّاب من خصال وخلال وأفضال للبربر في مسيرة الحركة الدعوية والنشاط الفكري الإنساني.."[41]. وبعد هذا الاعتراف الموضوعي والإنصاف الواقعي لحقيقة البربر وتاريخهم وإسهاماتهم يقول: "كلّ ذلك يبيّن بما لا مجال للجدال والتعقيب والجحود والتفلسف..فساد نظرات من وصم البربر بالعداء للإسلام، أو عدم التحمّس له، أو التقاعس عن القيام بواجب الدعوة له"[42].

- جزالة اللفظ ورصانة الأسلوب:تعدّ هذه الخصّيصة الفنية مجالا من مجالات تقويم العمل الأدبي، ومن خلال تصفّحنا وقراءتنا لعينة الموضوعات المختارة من مؤلفات الكاتب بوحجام اكتشفنا شخصيته؛ إذ الأسلوب هو الرجل على حدّ تعبير بيفون، فنجد اللغة الجزلة تطاوع الكاتب

في اختيار المفردات اللغوية الفصيحة من قاموسه التراثي، وصبّها في قوالب أسلوبية تتميّز بمتانتها وقوتها ورصانتها، وجمالية بلاغتها.

- البعد العلمي والمنطقي في سرد الوقائع والأحداث: الكاتب في سرد الوقائع والأحداث يستند إلى تشخيص أسبابها وعواملها ونلمس من خلال ذلك البعد العلمي والمنطقي اللذين يضفيهما على سرده، ونجد لهما حضورا في كتاباته التاريخية، ومنها حديثه عن القومية العربية الإسلامية يقول:"لقد تعرّضت القومية العربية الإسلامية لهزّات عنيفة، مؤلمة؛ لهذا فُرِض -وما يزال يفرض- على العرب على العرب أن يخوضوا معركة المصير والكرامة والحريّة والأصالة، إذ إنّ هذه الأوضاع المؤسفة ما تزال قائمة إلى اليوم -وإنْ بأشكال مختلفة -سبّب أو عقّد منها - إلى جانب الأعداء - أبناء هذه القومية أنفسهم. كلّ هذه العوامل أفرزت هويّة غائمة، غير واضحة المعالم عند بعض الناس: وقد أثيرت في العهد الحديث أشكال من القومية: القومية الإسلامية، العربية، الشرقية، المصرية، الفرعونية، الفينيقية، الأمازيغية..وقد استجابت هذه النزعات لنَزَغات الغرب لإحياء الحضارات القديمة؛ بهدف ضرب الوَحدة العربية والوحدة الإسلامية"[43].

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقية البحثية نخلص إلى أنّ الكاتب محمد ناصر بوحجامقد طرق موضوعات عدة في بعض مؤلفاته التي ضربناها نماذج لكتاباته الأدبية والتاريخية والتربوية والاجتماعية، وقد اصطبغت بالصبغة الفنية والجمالية مع عمق الفكرة والمعنى، ولعّل النتائج التي توصّلنا إليها تدعم ما ذهبنا إليه، وهي تتمثّل في ما يأتي:

1 – الموضوعية في تناول الفكرة، وفي تحليل القضية مهما كانت طبيعتها.

2 –تنوع الموضوعات في المؤلَّف الواحد.

3 –حضور القيم المتنوعة في كتاباته.

4 – التوفيق بين تناول الفكرة وإضفاء الجمالية والفنية على الموضوع.

5 –الاهتمام بالقضايا العربية الإسلامية والقضايا الوطنية والقضايا الدولية.

6 – اهتمامه بالفكر الحضاري في تربية الشباب وتكوينهم وإعدادهم للحياة.

7 – الدقة في تناول رحلاته بكل تفاصيلها مقرونة بالصور الفوتوغرافية.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1426ه، 2005م،ج1.

2 - عبد الكريم بكّار، الحياة الأسرية، مقولات قصيرة في العلاقة بين الزوجينوتربية الأبناء، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، ط2، 1435ه،2014م.

3 - محمد راتب النابلسي، أولادنا الورقة الرابحة الأولى، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2017م، 1438ه، مج1.

4 – محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار، العالمية للطباعة والخدمات، طريق البليدة، قليعة تيبازة، ط2، 1438ه، 2017م.

5 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام، حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلي، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، د.ت.ط.

6 - محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجّام، دار الكتاب الملكي، الجزائر، د.ط، 2016م، ج3.

7 – محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجّام، دار الكتاب الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج8.

8 - محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، دار الكتاب الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج11.

9 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، 1432ه، 2011 م.

10 - محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925 – 1962، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1425ه، 2004م.

11 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام، منهج الشيخ بيوض رحمه الله في الإصلاح والدعوة، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط1، 1429ه، 2008م.

إحالات الدراسة:

1محمد بن قاسم ناصر بوحجام، منهج الشيخ بيوض رحمه الله في الإصلاح والدعوة، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط1، 1429ه، 2008م، ص184

2محمد بن قاسم ناصر بوحجام، حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلي، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، د.ت.ط، ص75

3 محمد ناناصربوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجّام، دار الكتاب الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج8، ص55، 56

4محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجّام، دار الكتاب الملكي، الجزائر، د.ط، 2016م، ج3، ص495

5 محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار، العالمية للطباعة والخدمات، طريق البليدة، قليعة تيبازة، ط2، 1438ه، 2017م، ص143

6المرجع السابق، ص334،335

7 محمد بن قاسم ناصر بوحجام، منهج الشيخ بيوض رحمه الله في الإصلاح والدعوة، ص223

8 محمد راتب النابلسي، أولادنا الورقة الرابحة الأولى، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2017م، 1438ه، مج1، ص39

9محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلّفات الدكتور بوحجّام، دار الكتاب الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج8، ص12

10محمد بن قاسم ناصر بوحجام، بناء الفرد في فكر الشيخ حمو فخار، ص52، 53

11محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، ج3، ص82

12عبد الكريم بكّار، الحياة الأسرية، مقولات قصيرة في العلاقة بين الزوجين..وتربية الأبناء، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، ط2، 1435ه،2014م، ص45

13 محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص429

14 المرجع السابق، ص435

15 المرجع السابق، ص473

16 صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1426ه، 2005م، ح1،ص292

17 المرجع نفسه، ح3، ص1027

18 محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، دار الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج8، ص493

19 المرجع نفسه، ص496، 497

20 المرجع نفسه، ص497

21محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، دار الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج11، ص23

22محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، 1432ه، 2011، ص8

23محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925 – 1962، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1425ه، 2004م، ص133، 1354

24محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجّام، ج8، ص277

25المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

26محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، دار الكتاب الملكي، بئر توتة، الجزائر، د.ط، 2016م، ج11، ص135

27المرجع نفسه، الصفحة نفسها

28المرجع السابق، ص136 وما بعدها

29المرجع السابق، ص148

30المرجع السابق، ص146

31المرجع السابق، ص370

32المرجع نفسه، ص371

33المرجع السابق، ص373

34 محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، ج8، ص7

35 محمد ناصر بوحجام، مرجع سابق، ج11، ص7

36 محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، ج8، ص101

37 المرجع نفسه، ص33

38محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص346

39محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، ج11، ص209

40محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، ج3، ص413

41المرجع نفسه، الصفحة نفسها

42المرجع السابق، ص414

43محمد ناصر بوحجام، الثورة الجزائرية والأدب والأعلام في مؤلفات الدكتور بوحجام، ج11، ص6